٢ ــ آراء عامة

في الشعر والشعراء

بمناسبة وفاة المرحومين: « حافظ » و « شوقي »

١ ــ هل أحدث موت الشاعرين فراغاً ؟

٢ ــ ماذا ترى مستقبل الشعر والشعراء ؟

في العدد الماضي من هذه المجلة ، وضحنا هذا الاستفتاء الذي قمنا به منذ شهرين تقريباً ؛ والغرض منه التعرف إلى آراء كبار الكتاب والشعراء ، في هذا الموضوع الذي كان في الأصل يتضمن ثلاثة أسئلة ؛ فاقتصر جميع الذين حادثناهم على الجواب عن السؤالين الأولين ، أما السؤال الثالث وهو : مَن من شعرائنا الحاليين أجدر بزعامة الشعر ؟ فلم نعثر له على جواب ؛ وهذا ما توجهنا به إلى القراء لاستفتائهم فيه (أنظر ص ١١٧٩) . ونحب أن نذكركم بأنا نشرنا في الجزء الماضي آراء حضرات الأساتذة: إبراهيم عبد القادر المازني، وأنطون الجميل ، وعلى الجارم ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمد الهراوى .

وفي هذا الجزء تنشر آراء حضرات الأساتذة : طه حسين ، وخليل مطران ، وأحمد الإسكندري .

رأى الأستاذ الإسكندري

الأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري ، من دهاقين الأدب العربي ، وفي الذروة من أعلامه المعدودين ، وهو نسيج وحده ، لأن له في دراساته أسلوباً ومنهجاً فريدان في نوعهما ، وهو يجمع ، إلى هذا كله ، دقة البحث ، وحسن الترتيب ، وعميق الاستقراء ، وسلامة الذوق ، وصحة الاستنتاج . ثم هو ، بعد ذلك أيضاً ، من أئمة اللغة الذين يؤخذ برأيهم ، ويحتج بأقوالهم ، ويوثق ببحوثهم ، ويكاد يكون أكثر الأساتذة في مصر طلاباً ؛ بل لعلك تدهش ، حين تعلم ، أن أكثر الأساتذة المدرسين ــ الذين يزاملونه بدار العلوم ــ من تلاميذه .

لهذا حرصنا على تعرف رأيه الذي نقدمه إليك ملخصاً في ما يلي :

هل أحدث موت الشاعرين فراغاً ؟

أما أن موت الشاعرين أحدث فراغاً أو لم يحدث ، فسؤال يكاد يتفق أصحاب الرأى المنزه عن الهوى ، فى أنه أحدث فراغاً ليس بالهين ولا باليسير . وأما مدى ذلك الفراغ فقد يكون من العسير التنبؤ به الآن ، وقد لا تستشعره إلا بعد عشر سنوات كاملات .

على أنه يحسن بنا لفهم ذلك أن نتساءل أولا عن مبلغ ما للشعر من منزلة فى نفوس أهل هـذا العصر ، وعما إذا كان يستطيـع أن يحتل مكاناً بين ما يضطرم به هـذا العصر من ماديات ومعنويات لها مكانتها ومنزلتها .

أما أنا فأقول لك إن الشـعر فى ذاته فن جميل ، وكل ما هو فن ، هو فى ذاته كمالى ، وفى مقدور كل إنسان أن يدعه دون أن يحس نقصاً أو فراغاً البتة .

وليس أدل على هذا من أن مصر الحديثة لم تكن فى حاجة مطلقاً إلى الشعر ولا إلى الشعراء ، وآية ذلك أن «محمد على باشا» منشىء مصر الحديثة ، لم يكن يرى حاجة إلى الشعر ولا إلى الشعراء ، فلم يستعن بالشعر فى توطيد ملكه ، أو يستمد من الشعراء قوة فى تدعيم حكمه ، وإنما كان كل همه موجهاً إلى خلق مصر كدولة مستقلة ، لها سيادتها وعظمتها ، فلم يجد بداً فى القيام بنهضته القوية الوثابة من التسلح بسلاح العلم ، ومن التمسك بعروة الدين ، فأرسـل البعثات ونظم الجيوش وأقام الجسور ، وتناول كل مرافق الحياة ، واستعان بكل مستخرجات العلوم الكيميائية والطبيعية ، ومايمت إلى الأدب بسبب قوى ، ولم تر فى تضاعيف ذلك كله أثراً للشعر ولا للشعراء ، فهل قصرت باع « محمد على » عن بلوغ ما كان يحلم به لمصر الحديثة من شأو ؟ أو هل شـعرت الأمة آنئذ بأن ثمـة ما ينقصها ؟ الحق أن شيئاً من ذلك لم يكن ، والحق أن الشعر لم يكن ذلك عصره ، وإنما كان عصره فى البداوة لا فى عصور التمدين والحضارة .

ثم إن الشعر لم يخلق للعلم مطلقاً ، وليس مما يرتجل لتحقيق القواعد وتضمين الأوضاع ؛ وهو فى نفسـه خروج على النفس ، وتمرد على العرف ، وهو لا يكون بليغاً إلا حيث يخرج عن حد المألوف ، ولذلك يقال : «أبلغ الشعر أكذبه» .

والخلاصـة أن مثل الشعر مثل الزخرفة فى البيت سواء بسواء ، فأنت تستطيع أن تأوى إلى بيتك سـواء أكان مزخرفاً أم غير مزخرف ، أو هو كالحلية تستطيع المرأة التجرد عنها ، دون أن يقلل هذا من رائع جمالها أو فتنتها عند صحيحى النظر وسليمى الذوق .

والشعر من الشعور أو قل إنه من الأحاسيس أو من العاطفة ، فلا يتقيـد بالعقل ولا يتعلق بأسباب المنطق ، ولا هو مما يقبل الحقائق .

مستقبل الشعر والشعراء

أما المستقبل فلنا أن نأمل فيه الخير كل الخير ، وأستطيع أن أصارحك القول بأن لدينا الآن بعض طلاب « دار العلوم » ممن يقولون الشعر ، وممن أقرأ لبعضهم شعراً ، فأراه — بالنسبة لباكورة سنهم — مما يبشر بمستقبل حسن ؛ بل لا أكون مبالغاً إذا قلت لك : إني أراه أروع من شعر «شوقي» ، في بداية عهده بالشعر ، أيام كان في مثل تلك السن في مدرسة الحقوق .

وقد صاحبت «شوقي» وأوفدت معه إلى بعض المؤتمرات ، كمؤتمر المستشرقين المنعقد في أثينا عام ١٩١١ ، ثم عاصرته وقرأت له جل ما أنشأ ، وعرفت له أخطاءاً كثيرة ، وأرى أن هذه الروايات وتلك القصص التي قام بها أخيراً ليست بذات خطر ؛ ولا بالنوع الجديد الذي كنا ننتظره ، ثم هي لا تتمشى مع النوع القصصي ولا الأوبريت اللذين تهمهما . وإنما كانت من نوع خليط ، فأنت ترى البيت الواحد من الشعر يقطع ثلاث مقاطع أو أربعاً في بعض الأحيان ، فيبدأ أحد أشخاص الرواية بقطع ، ويقفي آخر ، ويتبعه ثالث ، ثم يتلوه رابع ، وهكذا حتى يتم البيت . وقد يكون صدر البيت من «الهزج» بينا عجزه من «البحر الطويل» ، مما لا يتسق والموسيقى ، أو يتمشى والذوق السليم ، ولهذا كانت تنفر منه الأسماع .

على أني لا أنكر أن « شوقي » تقدم بالشعر خطوات واسعة ؛ فقد حاول أن يتأثر المتنبي وأبا فراس الحمداني وأبا تمام وابن المعتز وأبا نواس وابن هانيء وغيرهم من عيون الشعراء ، فوفق إلى حد بعيد ، وأجاد إجادة تقرب من الكمال ؛ ثم خرج على الشعراء المعاصرين له أو الذين سبقوه بقليل ، فلم يشايعهم في النقد أو التقريظ إلا غراراً ، وإلا ما كانت له ضرورة ملحة .

ومع هذا فاني أرى الظروف مواتية الآن لظهور الشعراء وبروز الشعر ؛ وارتفاعه إلى ما يقرب من سابق عهده في سالف عصور الاسلام ؛ فقد بدأنا نرى معجبين من الأمة كثيرين يتأثرون الشعر ويتعصبون للشعراء .

بل أعتقد أن مؤهلات النبوغ الموجودة الآن ، تسمح باثبات شعراء مغاوير ، أكثر مما سمحت لشوقي وحافظ وصبري والبارودي وأضرابهم ؛ فقد انتشر التعليم — ولانتشار التعليم دخل في ذلك ليس بالقليل — ، ولدينا جرائد ومجلات مختلفة تعنى بالشعر والشعراء ، ثم هناك كتب الأدب ودواوينه القديمة التي طبعت حديثاً ، والتي لم تكن مطبوعة من قبل شوقي وحافظ ؛ وهذه سيكون لها أثرها في تخريج شعراء في المستقبل .

ولست أنكر — إلى هذا — أن روح الأمة غير مشبعة بروح الشعر العربي الفصيح رغم هذه الظاهرة : ظاهرة التشجيع التي نراها الآن ، وذلك بسبب تفشي الروح الغربي في نفوس

أبنائها ، وتقهقر مدنيتنا الروحية. والشعر كالسائح لا يحل في غير البلد الذي ترتضيه روحه؛ فليعلم طلابه ذلك، وليتذاكروا عهود العرب وأسواقهم ودواوينهم ولغتهم إن كانوا يريدون شعر العرب.

ورأيي في النهاية هو أن هذه النهضة التي تبشرنا بمستقبل حسن، ستكون باكورة موفقة لعهد زاهر في القريب إن شاء الله ؛ فلننتظر عشر سنوات كاملات .

رأي الدكتور طه حسين

الدكتور طه حسين زعيم المجددين دون منازع ، وحامل لواء التفكير الحر غير مدافع ، وقد يكون أكثر علمائنا إنتاجاً وأثراً في بلاد العربية دون استثناء أو تخصيص ، بل قد يكون أبعد كتابنا وأدبائنا ذيوع صيت ونباهة ذكر في الشرق والغرب .

أما أسلوبه ، وأما بحوثه ، وأما بيانه ، وأما مادته ، وأما جولاته ، وأما آراؤه ، وأما ما أعرف ، وما لا أعرف من سحره الحلال ، فأمور سارت بذكرها الركبان، وطارت بها الشهرة إلى أجواز الفضاء .

إزاء ذلك كله ، لم يكن من بد من التحدث إليه في موضوع اليوم، وتعرف رأيه الذي تقدمه إليك في شيء من الايجاز يسير ، وفي شيء آخر من البسط قليل ؛ بل في شيء لست أعرف إن كان حيرة أم تردداً ، وإنما أعرف أن ما أقدمه إليك الآن ، هو خلاصة ما وعته الذاكرة الضعيفة: فلينسب إليها التقصير ، إن كان ثمة تقصير .

هل أصبحت مصر الشاعرين فراغاً ؟

الآن، في حيث لا اتهام بتعصب ولا غرض ، وفي حيث لا وجود لمنافسة ولا منازعة، والآن بعد أن عرف الناس ما تـأدى عنه حق المعرفة ، وبعد أن علم القاصي والداني، ما تريدني على التحدث إلى قرائك عنه ، أقول إن الانصاف يقضي على أن أقرر لك ولقراء مجلتك أيضاً ، أن كلا من الشاعرين أجاد في ناحية، وأن كلا منهما أحسن في بعض قصائده ، وأنهما معاً، ومع من سبقهما بعهد قصير، ومع بعض الشعراء الموجودين الآن ، سواء أكانوا ممن في مصر أم في غير مصر من بلاد العربية عامة ، قد استطاعوا جميعاً أن يردوا إلى الشعر العربي بعض شبابه في الدولة العباسية إلى حد محدود ، كما استطاع الفقيدان أن يحتفظا لمصر بزعامة الشعر :

أريد أن أعترف بهذا في غير ما مواربة ولا خفاء ، وأريد أن أعترف أيضاً ، وفي غير ما موجدة ولا ضغينة أيضاً ، أنهما حاولا جهد طاقتهما أن يبتكرا ، وأن يقلدا ، وأن يجيدا في الابتكار ، وأن يجيدا في التقليد ، فأصابا بعض النجاح ، وأخفقا بعض الاخفاق .

حاول « شوقى » أن يبتكر فى باكورة شبابه ، أو قل حاول أن يجدد فى مستهل حياته ، فكان يوفق بعض التوفيق حين يعمد إلى الصراحة ، ويفشل كل الفشل حين يلجأ إلى التستر والمداورة .

وحاول « حافظ » أن يحاكى شعر القدماء فى بداءة عمره ، أو قل حاول التقليد فى فجر شبابه ، فكان يوفق أغلب التوفيق حين يعمد إلى أسلوب القدماء وأخيلتهم ، ويفشل الفشل كله حين يلجأ إلى نفسه يستلهمها الخيال والفكرة ، وإلى حافظته يستميرها الألفاظ القديمة والحديثة .

حاول كل منهما أن يسلك الطريق التى رسمها لنفســه فى ضحوة العمر ، لكنهما أخفقا فى النهاية ، أو قل إنهما استحالا إلى الضد ، فسلك « شوقى » فى نهايته ، طريق « حافظ » فى بدايته ، واختط « حافظ » فى آخرته ، خطة « شوقى » فى باكورته . وقد يكون إخفاق « حافظ » تجديداً أو بعض تجديد ، فيصح أن نسميه نجاحاً أو شبه نجاح . وقد يكون إخفاق « شوقى » تقليداً أو بعض تقليد ، فيجوز أن نسميه — بالرغم من أنه تقليد — نجاحاً أو شبه نجاح .

ومع هذا ، هل أحدث موتهما فراغاً ؟ ما أظن ذلك إن صح مجازاً بالذى يصح فى عالم الحقائق ، ولو افترضنا صحته فلن نعدم من يسده ، ما دمنا نرى الشعر فى حالته الراهنة بعيداً عن أن يمثل النفس المصرية ، أو يحقق أطماع الروح العربية ، أو يهتف بما للشرق من آمال وأحلام ، أو يتمثل للشباب المثل العليا التى يجب أن تصور لأبناء الشعب وشبابه تصويراً دقيقاً يدفعهم إلى الاحساس بها والتمثل لها .

وقد يكون من الخير ، لو ننتقل إلى ... الثانى لتفصيل ما أجملت فى هذه النقطة .

مستقبل الشعر والشعراء

قد يكون الشعر فى حياتنا الحاضرة مما لا ضرورة له ، بل أزعم أنه لم تعد له الضرورة التى كانت له فى العصور السابقة ، ذلك أنه كان فى تلك العصور الخالية من طبيعة الحياة ، باعتباره اللسان المعبر عما فى الحياة من مختلف الألوان والمشاعر . ولهذا كان القدماء يقولون : « الشعر ديوان العرب » ، والحق أن الشعر فى ذلك العصر البائد ، كان يصلح لأن يكون ديواناً لحياتهم الساذجة إلى حد بعيد ، لأنه كان يتناول جل أنواع حياتهم وأغراضهم ، وهى حياة محدودة ، وأغراض متواضعة .

ومع هذا ، ومع ما كان للشعر العربى من منزلة ومكانة ، فانه لا يكفى وحده مطلقاً لتعرف آثار العرب ، وبعكس هذا الشعر اليونانى ، فأنت تستطيع أن تلتمس ما تبحث عنه من آثار العقل اليونانى ، والحياة اليونانية الفلسفية والروحية والفنية ، فى الشعر اليونانى نفسه ، فى « الالياذة » و « الأوذيسا » مثلا .

لقد كان « هوميروس » يفهم الشعر اليوناني حق الفهم ، ولذلك كان يصور المعاني البديعة في اللفظ المختار الذي لا ينبو عنه السمع ، ومع هذا فلم يكن شعره ليخلد هذا الخلود لو لم يتناول أدق العواطف الانسانية ، ويصور دفين النزعات النفسانية أدق تصوير .

أما الآن ، وقد تغير فهمنا للحياة عن فهم العرب القدماء للحياة ، واتسعت أطماعنا ، وتعددت مطالبنا ، واختلفت أذواقنا ، وبلغت الانسانية في حاضرها هذا الشأو ، وقطع العقل البشري مرحلة كبيرة في سبيل التطور والرقي ، فقد أصبحنا في غنى عن الشعر ، وأصبح لا يوفينا حاجتنا ، وأصبحنا حين نود التماس هذه الحياة نفزع إلى النثر ، وإلى كتاب النثر الجيدين .

وهاهي ذي « عادة البداري » هل ترانى ألمس وصفها وتحليلها من الشاعر أم من الكاتب؟ لست أشك في أنا معاً ، أنا وأنت ، نلتمسها عند كتابنا الجيدين « كهيكل » أو أضراب « هيكل » ممن ضربوا في النثر بسهم وافر .

وهذا دليل على أن النثر أخذ يحل محل الشعر ، لأن النثر صنو للعقل ، يتقدم بتقدمه ، وينحط بانحطاطه ، بعكس الشعر فانه وحي العاطفة والخاطر .

وتعال معي إلى الدولة العباسية ، فهاهو ذا « الجاحظ » قد طرق كل فنون الشعر ، فتحدى المدح والهجاء والسخرية وما شابه ذلك مما اختص به الشعراء ، بل تحدى أهم مميزات الشعراء في الغزل ، وهذا نفسه دليل على أن النثر الذي يستطيع التغلب على الشعر ، لأن العقل كما تغلب على الحياة فك من قيود الشعر .

ولقد قالوا قديماً « إن الشعر هو الكلام الموزون المقفى » ، وأنا أقول إن كل إنسان يستطيع أن يقول هذا الكلام الموزون المقفى ، ولكن ليس معنى هذا أنه يستطيع الآن أن يحدث في نفسي نفس الأثر الذي يحدثه الكاتب .

ثم مسألة أخرى أحب أن أعرض لها بشيء من التفكير يسير ، تلك هي وظيفة الشعر ، فأنا أزعم لك أنها تغيرت عن ذي قبل ، فأصبح من أنواع الترف لا من أنواع الضرورات كما كان عند القدماء ، وأنا وأنت نعلم أن مثل هذا النوع من الترف يعمل في الحياة أقل مما تعمل الضرورات .

ثم لاننس أن للشعر صلة وثيقة بالموسيقى ، وأن له ذوقاً خاصاً يجب أن يلائمها ويتطور معها ، فهل ترى في شعرنا الحالي مايلائم ذوقنا الموسيقي؟ أكاد أشك في ذلك أكثر الشك ، بل أزعم أني أشك في ذلك كل الشك . وها هي ذي الموسيقى تطورت ، بينما ترى الشعر جامداً أشد الجمود ، اللهم إلا من بعض محاولات ضئيلة جداً ، والتطور ظاهرة القوة والحياة ، وآية ذلك أن

الشعر الفرنسى تطور تطورات مختلفة من الناحية الموسيقية حينما أحس حاجته إلى التطور، فظل فتياً قوياً، وأصبح لدى الفرنسيين مذاهب مختلفة فى تصور ألفاظ الشعر وأصواته، تقارب تصورنا لبحور الشعر العربى وقوافيه، مما تواضع عليه العروضيون. وقد أراد «شوقى» أن يجدد فى الوزن متمشياً مع الذوق الموسيقى فقال قصيدته التى مطلعها:

مال واحتجب وادعى الغضب
ليت هاجرى يذكر السبب

وزعم أنه وزن فارسى استحدثه؛ ولكن علماء العروض لم يتركوا له هذه الدعوى دون أن يرجعوها إلى وزن عربى قديم.

والشعر لكى يكون صادقاً بليغاً يجب أن يتوفر فيه شرطان أو حاجتان كما يقول القدماء، وهما: المعنى واللفظ، وأنا أفهم المعنى على أنه الحال النفسية التى يجب أن يحدثها الشاعر فى نفس من يسمعه أو يقرؤه. أما اللفظ فليس هو الكلمات، وإنما المفروض فيه الصوت الذى يمس الأذن ويحدث فيها أثراً معيناً.

فمن ناحية المعنى نلتمس المثل العليا، ومن ناحية اللفظ نلتمس الموسيقى، أو ما يرضى ذوقنا الموسيقى. وليس فى شعرائنا من وفق إلى أن يمس هذه المثل أو تمثلها كما ينبغى، أو أرضى ذوقنا الموسيقى.

وفى اعتقادى أن ذلك راجع إلى أن ثقافتهم ثقافة ناقصة، فهم لم يقرأوا فى الأدب أو الشعر أو الفلسفة الحديثة كثيراً، ولم يتزودوا بالآراء العلمية المبتكرة، ولا بالمذاهب الاجتماعية المستحدثة، وإنما ثقافتهم ثقافة خاصة محدودة، لم يتعدوا نطاقها. فهم جميعاً، والمسرفون فى التجديد أيضاً، أو الذين يزعمون أنفسهم مجددين، لا يزالون ينظرون إلى الشعر نظر القدماء إليه، فيعتمدون على الطبيعة ويحافظون على الوزن والقافية لا يبغون عن ذلك حولا.

يقول أرسطو «الشعر محاكاة» فيجب على من يحاكى شيئاً أن يعرفه، فهل لدينا من حاكى شعراء اليونان مثلا، وهل منهم من جاءنا بما أقرأه أنا وأنت فى «الالياذة» مثلا، أو ما نقرأه لراسين وكورنيل وغيرهما؟ وهل لدينا من سبق عصره، كبودلير مثلا، أو المعرى الذى نجد فيه العزاء، وغيرهما ممن عظم حظهم من الثقافة؟

إن الحكمة التى كانت تقال فى العصر الجاهلى فتهتز لها نفس العر... وتفخر بها قبائل على قبائل أخرى، لم تكن كافية لإرواء ظمأ العرب بعد فتوحاتهم، ولذا رأيناهم يتجهون إلى الفلسفة اليونانية يلتمسون فيها مثلهم، وفى هذا دليل على صدق ما نقول، ثم هو دليل على أن التعمق فى البحث عن الأشياء لم يكن من طبيعة العرب فى عصورهم الأولى.

والآن لكى تكون لنا حياة شعرية يجب أن تتطور الألفاظ والمعانى، والتطور أظهر

مظاهر الحياة ؛ وليس لدينا — بكل أسف — من هذا التطور شيء ، بل لا نكاد نحسه ؛ ولا نكاد نرى ذلك الشاعر الذى يستخرج لنا عواطف قد لا نحسها نحن لبعد غورها ؛ والنفس الانسانية أعمق غوراً من أن يحسها أصحابها تمام الاحساس ؛ فكم يكون عجبك حين تجد شاعراً كشف لك عن عاطفة غريبة عنك ، ومعنى بعيد عليك .

لكل ما ذكرت أرى أن الحاضر والمستقبل القريب للنثر دون الشعر .

رأى الاستاذ خليل بك مطران

لعل ما سطره قلم الأديب النابغة الأستاذ أنطون بك الجميل، خير ما يقال في « مطران »، فأنت تجد فيه أبرز صورة تصور لك شخصية « مطران » الفذة وشاعريته الحساسة ، أدق تصوير . وهو ما نحرص على تقديمه إليك :

« نشأ تحت سماء سوريا بين أوديتها الخضراء ، وجبالها البيضاء ، بين آثار بعلبك ذات العظمة والجلال والبهاء . وترعرع وشب في وادى النيل ، بين آثار المدنية القديمة ، وصروحها العظيمة . عاش تارة في القرى والجبال ، فتشرب حب الطبيعة والفضيلة فأسمعنا الشعر زاهراً طاهراً ، وعاش طوراً في المدن فراعهُ ما فيها من التعس والشقاء ، فألقى إلينا إنشاده مبكياً زاجراً . شعره مجمع الصور وملعب الخيال ، ونفسه كالصحيفة الحساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها ، فهو شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأهرام . وقد عرف أن يستفيد من لغات الأجانب دون تقليد ، وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ، فاحتفظ بصيغة العرب في التعبير ، وأدخل أساليب الافرنج في التأليف والتفكير »

هذا رأى الأستاذ الجميل في « مطران » وهو رأى صائب ، وأما رأى « مطران » في موضوعنا فهو ما نراه في ما يلى :

هل أحدث موت الشاعرين فراغاً ؟

إن الفقيدين العظيمين ظلا في كل حياتهما وفي مختلف مراحلها ، وسيظلان حتى الأبد خالدين على مر الأيام والدهور ، بما أسديا إلى النهضة الفكرية الحديثة من فضل جم ويد كريمة ؛ وسيظل اسماهما يترددان في أرجاء العالم العربي ، ما بقيت العربية وبقى الشعر ، لذلك نشعر بأن ما أحدثه موتهما في نفوسنا من ألم وحسرة بالغ الأثر ، فقد أديا رسالتهما في الحياة بالقدر الذى أتاحته لكل منهما ظروفه ، في أبلغ أداء وأصدق تعبير . ومن هذه الناحية نستطيع القول بأن موتهما أحدث في حياتنا الشعرية أثراً ليس بالهين ، وفراغاً ليس باليسير ؛ وإننا لنرجو أن نوفق إلى من يملأه في عهد قريب .

لقد أحسن كل من الشاعرين فى أبواب خاصة ؛ كما أجاد كل منهما فى مناحٍ خاصة : وما من شك فى أن لكل منهما ميزات وخصائص تختلف عن ميزات الآخر وخصائصه : وقد كانت لكل منهما ملابسات وظروف تخالف ملابسات الآخر وظروفه ، ثم كان لهذه الملابسات وتلك الظروف أثر فى شعرها وتوجيهه وجهة نرضاها كل الرضا حيناً، وبعض الرضا حيناً آخر.

وقد حاولا محاولات عدة لمعالجة الشعر الحديث ؛ وتناول أغراضه المتجددة ، وفنونه المتنوعة ، فكانت محاولاتهما جد قليلة ، لأنهما لم يكونا واثقين منها ؛ ولأن النفوس لم تكن قد تهيأت لقبول هذه الآراء التى يدفعها إلينا الغرب دفعاً .

وأنت لو حاولت تمس القصائد الطوال فى المعنى الواحد ، والغرض الواحد، فى المناسبات السياسية مثلا، فلن تظفر من ذلك بشىء يجدى أو يفيد ؛ وليس ذلك عيبهما وحدهما، وإنما هو عيب الشعب أيضاً، فقد كان يرضيه فى نهضته السياسية مثلا البيت الواحد ، فيصفق له ويطرب منه ويجعله أنشودة ومثلا ، أما أغراض الشعر البعيدة المرمى ، السامية المغزى ، وأما استقراء التاريخ العام ، وتحليل الشخصيات البارزة تحليلا دقيقاً، وتناول أروع عواطف النفس بالتصوير والوصف ، وأما تصور المثل العليا ورسم الأوضاع الشعرية السامية ، فأشياء لم نعمل منها قليلا ولا كثيراً، وإذا كنت تظفر بشىء من هذا فإنما تظفر بالنادر الذى لا حكم له ولا يقاس عليه .

ومرد ذلك إلى أنا لم نتشبع بالروح العربى الخلاق ، ولا بالروح الغربى الحديث فى التصوير والوصف وسوق الأقاصيص ونحوها ، وينقصنا فى ذلك الروح الحربى الجرىء ، والروح القوى السليم ، والثروة الضافية من الألفاظ العربية الفصيحة .

ولذلك لا نجد فى شعرنا ما نجده بارزاً فى شعر الألمان أو الفرنسيس أو الانكليز من روح حربى أو روح قوى أو روح خلقى.

وما ذلك إلا لأننا وقفنا عند القديم فحسب ، ثم تركنا الحياة وكل ما فى الحياة من جديد ، وأخذنا نتمثل مثل القدماء من العرب ، ونتخيل أخيلتهم ، ونستعير ألفاظهم وقوافيهم وأوزانهم ، من غير ما تجديد ولا تهذيب ولا تشذيب ؛ ومن غير ما نظر إلى الأمام ، بل نرجع إلى الوراء وننظر إلى الخلف ، ونذهب إلى جرير وإلى الفرزدق وإلى امرىء القيس وإلى لبيد وإلى أمثال هؤلاء، وهؤلاء ممن بعدت بيننا وبينهم الحقب، ودالت بيننا وبينهم دول.

وفى عصر الخديوى عباس مثلا نرى الشعراء يتوجهون بشعرهم كله إليه ، يمدحونه ، ويتزلفون إليه ، ويعيدون إليه المدح القديم فى ألوان جديدة ، وقل أن يكون فى القصيدة ما يفىء عما يعدو هذا الغرض، فكيف تكون من هذه الكلمات روحاً قوياً وتاباً يفى بالغرض المقصود ، حتى نعمل منه سمطاً تتألق منه درر الشعر وجواهره ؟

الحق أنا لم نعرف رسالة الشعر إلا إلى حد قليل ، والحق أن جمهورنا العربي أيضاً لم يفهم رسالة الشعر؛ فشعراؤنا يحاولون جهد طاقتهم تعرف الرأى العام والناحية التي يتوجه إليها ؛ وهم يسمون إلى إرضائه بالقدر اليسير؛ لأن الرأى العام يكفيه جداً البيت الواحد تشير فيه إلى الدستور أو إلى الاستقلال أو إلى فرح الأمة أو حزنها؛ وليس هذا فهماً للشعر، ولا فهماً لرسالته.

وقد يكون النثر قطع مرحلة أكبر من تلك التي قطعها الشعر؛ بفضل نفر من الجهابذة الأعلام المتضلعين من اللغة والعلوم ، أما الأكثر ومن عداهم؛ فما زالوا في حاجة إلى التغذية العلمية والمعارف العامة من لغات مختلفة وآداب متعددة وعلوم متباينة؛ وهو مالابد منه للشاعر والكاتب ؛ وإني لأذكر أنا الى عهد قريب لم نكن نعرف هذا الذي يستطيع وصف الغرفة في شكلها الحديث؛ فلما توفرت لدينا طائفة من الكتاب الذين وفقوا إلى ألفاظ وأساليب جديدة . سواء أكان ذلك بالخلق أم بالابتكار أو بالتعريب والتركيب أو بالنحت والاشتقاق؛ ولما أن ذاع هذا وكثر استعماله؛ أصبح التلميذ الصغير قادراً على وصف الغرفة ومحتوياتها أدق وصف .

واللغة العربية ضافية الثروة ، غنية الألفاظ ، كثيرة التراكيب، وهي كفيلة بتحقيق رسالة الشعر لمن يحسن استعمالها ، ويفهم غريبها وقريبها ، ويضيف إلى علمه بها علماً بمستحدثات الحياة من آداب وفنون في الأمم الأخرى .

والخلاصة أنه متى وجد العقل الخلاق المبتكر ، والذهن الصافي الواعي : فيبتكر جديداً مع بقاء الأصل السليم في اللغة على ما كان عليه من فصاحة وبلاغة ؛ استطعنا الوصول بالشعر إلى درجة قد تتيح لواحد منا الطمع في الحصول على جائزة « نوبل » التي لم ينلها شاعر من شعرائنا حتى الآن .

عبد العزيز

والآن
ما رأى القارئ

فيمن هو أحق بزعامة الشعر؟

أرسل إلينا رأيك حراً صريحاً ، موضحاً اسم شاعر واحد يقع عليه اختيارك . ويجب أن يصلنا الرد داخل مظروف بعنوان « المعرفة » ، ومكتوباً عليه عبارة « الشعر والشعراء » .

وستفض هذه المظاريف في يوم ٦ ابريل سنة ١٩٣٣ ؛ بمعرفة لجنة خاصة مكونة من كبار رجال الأدب واللغة والنقد والتعليم وأعلام الكتاب المعروفين .

وستعلن نتيجة الآراء جميعاً ، وعدد الأصوات التي حازها كل شاعر بالترتيب؛ مصحوبة بصورة الشاعر الذي نال أكثرية الأصوات ، في العدد الأول من السنة الثالثة « للمعرفة » الذي يصدر في أول مايو سنة ١٩٣٣